

إشكالية التفاسير القرآنية في عدم التفات المفسرين إلى "صناعة القلب"

الدكتور محمدني أحمدني*

الملخص

من الواضح أنّ الوقوف على الغوامض البلاغية وتبيين أسرارها من أهمّ الموضوعات القرآنية التي اهتمّ بها علماء البلاغة من أقدم العصور الإسلامية واعترفوا بأنّ البلاغة هي المدخل والجسر الأساس لفهم معاني الآيات القرآنية ودلالاتها وفوائدها الجمّة. والدراسة هذه تهتمّ بهذا الجانب الدلالي للقرآن الكريم من منطلق أحد فنونه البلاغية الذي يسمّى بـ "القلب". وهو باختصار أن تجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر لاعتبار لطيف والغرض منه هذا الاعتبار اللطيف ولولاه لما كان القلب من البلاغة في شيء. وربما بهذا السبب ما جعلوه فنّاً مرفوع القواعد منوّع الأنواع كما جعل في هذا البحث.

ولست في هذا البحث بصدد تبين ما جاء في الكتب البلاغية كتعريف صنعة "القلب" أو تعيينها في الآيات القرآنية أو توضيح إنكار هذه الصنعة في بعض الكتب البلاغية كـ "منهاج البلغاء" بل أسعى ببضاعتي المزجاة أن أوضح شيئاً ممّا لم يُشر إليه في هذه الكتب أي دلالة هذه الصنعة وبلاغتها في بعض الآي الكريمة وإشكالية التفاسير الموحدة للقرآن الكريم وهذا هو المهمّ الذي يكشف الأستار عمّا اجتمع فيه من دقائق البيان بقدر ما يدركه الإنسان.

ومّا حصلت عليه من خلال بحثي هذا أنّ لصنعة القلب في الآيات القرآنية دلالات بلاغية كالمبالغة وإرادة سرعة الامتثال وبيان شدّة الكراهية، ولكن لم يشر كثير من المفسرين إلى حكم هذه الصنعة اللطيفة في تفاسيرهم رغم اضطلاعهم في اللغة العربية. فيبدو أنّهم لم يفسروا بعض آيات المصحف الشريف صحيحة لأنّهم ما اعتنوا بـ "المعاني" العميقة و"البيان" الدقيق و"البديع" الأنيق اعتناءً كاملاً.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، البلاغة، صناعة القلب، إشكالية التفاسير.

المقدمة

إذا أردنا أن يكون الكلام فخماً رشيقاً ومعناه قريباً مكشوفاً فمن الواجب علينا أن نعرف الحالات المختلفة للمستمعين وأن نجعل لكلّ مقام مقالاً ليكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال موافقاً للغرض

* - أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الرازي، کرمانشاه، ایران.

mn.ahmadi217@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٠١/١٧هـ.ش = ٢٠١٤/٠٤/٠٦م تاريخ القبول: ١٣٩٣/٠٤/٠٦هـ.ش = ٢٠١٤/٠٦/٢٧م

¹ -context

الذي سبق له. فحال الخطاب أو المقام «هو الأمر الحامل للمتكلّم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى.»^١ وإذا أمعنا النظر في الحالات المختلفة مثل: من الذي يتكلّم؟ مع من يتكلّم؟ أين ولأيّ مدّة يتكلّم؟ في أيّة ظروف ولأيّة غاية يتكلّم؟ ومن ، حيث المستوى، هل هو في مستوى عال أو وضع، رسمي أو غير رسمي؟ فيكون الكلام مطابقاً لـ "مقتضى الحال" أو "الاعتبار المناسب"^٢ أي الصورة التي تورّد عليها العبارة فحينئذ تكون الألفاظ مرتّبة على المعاني، منتظمة على العقل فأنت أكلها ، حيث تكون منجّمة بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة. فإذا كان هكذا فيكون الكلام بليغاً أي «الكلام الذي يصوّره المتكلّم بصورة تناسب أحوال المخاطبين»^٣.

ومن هذا المنظار، يكون القرآن الكريم في الذروة والأخّر في السّفح البعيد، حيث ما يبحث عنه الألسنيّون في زماننا هذا نراه في هذا الكتاب في الغاية القصوى من البلاغة والفصاحة، حيث لم يكن كثير من هذه الملاحظات الدقيقة معروفاً وقت نزوله قبل ألف وأربع مائة عام إلاّ لخاصّة أولياء الله والراسخين في العلم. وكلّما يتطوّر العلم والعقل ويتقدّم الإنسان إلى الأمام تنكشف له أمور كانت خافية عليه. وأمّا صنعة القلب فهي من الصناعات البلاغية التي لا يفهمها الإنسان إلاّ بعد تفكير دقيق وتدبّر عميق. ومن هنا تأتي ضرورة البحث وأهميته، أي كلّما حاول الإنسان فهم الآيات القرآنية وأمعن النظر فيها تكشفت له دقائق ولطائف من كلام الوحي، هذا بشكل عام، وبشكل خاص يمكن القول إنّ فهم الآيات القرآنية يتّصل بالصناعات البلاغية والأساليب البيانية اتصالاً وثيقاً فيها تنكشف المعاني وتظهر المقاصد. ومن هذه الصناعات والأساليب صنعة القلب التي سنتناولها هذه الدراسة.

وأما هدف البحث فهو إدراك اللطائف والحكم والأغراض البلاغية التي توجد في الآيات التي استُخدمت هذه الصنعة فيها، وكذلك دراسة بعض التفاسير القرآنية وإشكاليّاتها في هذا الجانب البلاغي وكشف القناع عن هذا الفنّ البياني في الآي القرآنية. وأخيراً تجدر الإشارة إلى أنّ المنهج المتبع في هذا المقال هو المنهج الوصفي - التحليلي الذي يستقرئ النصوص الشريفة.

أنواع صنعة القلب: القلب هو أن تقدّم في الكلام جزءاً ثمّ تعكس ويأتي على أنواع:

^١ - عبد الرحمن حسن جبّنة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٩.

^٢ - appropriate to

^٣ - أبوالمعالى جلال الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٣. وهذا هو الذي يسميه الألسنيّون

"Suitability speech in accordance with situation and position".

١. «أن يكون الكلام ب، حيث لو عكسته وبدأت بحرفه الأخير إلى الأول كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام؛ ويجري في النثر والنظم»^١. ويسمى "جناس القلب" أيضاً نحو: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ﴾ (الأنبياء/٣٣) و﴿رَبِّكَ فَكْبَرُ﴾^٢ و"أرض خضراء" وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل: "سر فلا كبابك الفرس" وجواب القاضي: "دام علا العماد" ونحو قول القاضي الأرجاني:

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتِهِ تَدُومُ

٢. أن يقع القلب بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف. نحو: "كلامُ الملوك ملوك الكلام".

٣. أن يقع القلب بين متعلقي فعلين في جملتين، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^٣

٤. أن يقع القلب بين لفظين في طرفي جملتين، كقوله تعالى: ﴿...لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَّهُنَّ...﴾^٤

٥. أن يقع القلب بين طرفي جملتين، كقول الشاعر:

طَوَيْتُ بِإِحْرَازِ الْفُنُونِ وَتَبَلَّيْتُهَا رَدَاءَ شَبَابِ وَالْجُنُونِ فُنُونُ
فَحِينَ تَعَاطَيْتُ الْفُنُونَ وَحَظَّيْتُهَا تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْفُنُونَ جُنُونُ

٦. أن يكون القلب بترديد مصراع البيت معكوساً كقول الشاعر:

إِنَّ لِوَجْدِي فِي فُؤَادِي تَرَآكُمُ لَيْتَ عَيْنِي قَبْلَ الْمَمَاتِ تَرَآكُمُ
فِي هَوَاكُمُ يَا سَادَتِي مِتُّ وَجَدًّا مِتُّ وَجَدًّا يَا سَادَتِي فِي هَوَاكُمُ

وأما صنعة القلب التي سنتكلم عنها في هذا المقال مع أنها تكون مشاهمة بما تكلمنا عنها فيما مضى ولكن هي شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر. والجسر الأساس في هذا البحث هو دلالة صنعة القلب. فقسّمتنا هذه الصنعة في هذا المقال إلى ثلاثة أقسام:

أ. قلب الإسناد.

^١ - التفتازاني، ج ٢/٢١٢.

^٢ - المدثر/٣.

^٣ - الروم/١٩.

^٤ - الممتحنة/١٠.

^٥ - سيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٤٠٨.

ب. قلب المعطوف.

ج. قلب التشبيه.

سابقة البحث

صناعة القلب من الصنائع البلاغية التي أشارت إليها الكتب البلاغية الهامة مثل "مفتاح العلوم"، و"الإيضاح في العلوم البلاغية"، و"تلخيص المفتاح"، و"مختصر المعاني"،... إلخ. والملاحظة اللطيفة في هذه الكتب هي مع أننا نقرأ تعريفاً و أمثلة عن القلب فيها لا نراها نتحدث عن **دلالات صناعة القلب**. فعلى سبيل المثال نقرأ في مفتاح العلوم: «وأما ما جاء من نحو قوله: "وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا" وقوله: "يَكُونُ مِرَاجِحَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ" وبيت الكتاب "أَظْيِي كَانُ أُمَّكَ أَمْ حِمَارًا" فمحمول على منوال "عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الْحَوْضِ"... وإن هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب وهي شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوع في التراكيب وهي مما يورث الكلام ملاحظة ولا يشجع عليها إلا كمال البلاغة تأتي في الكلام وفي الأشعار^١. فلم نر في حديثه كلاماً عن **دلالات صناعة القلب**. لكننا نقرأ في المختصر: «من خلاف مقتضى الظاهر "القلب" وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه نحو: "عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الْحَوْضِ" أي أظهرته عليها لتشرب و قبله السكاكي مطلقاً وقال إنه مما يورث الكلام ملاحظة. وردّه غيره مطلقاً لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود والحق إنه إن تضمن اعتباراً لطيفاً غير الملاحظة التي أورثها نفس القلب قبل كقوله:

وَمَهْمِهِ مَغْبِرَةٌ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ^٢

على حذف المضاف يعني لون السماء فالمصراع الأخير من باب القلب والمعنى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه. والاعتبار اللطيف هو المبالغة في وصف لون السماء بالغيرة حتى كأنه صار ب، حيث يشبه به لون الأرض في ذلك مع أن الأرض أصل فيه. وإن لم يتضمن اعتباراً لطيفاً ردّ لأنه عدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة يعتدّ بها كقوله:

فَلَمَّا أَنْ جَرَى سِمْنٌ عَلَيْهَا كَمَا طِينَتْ بِالْفَدْنِ السِّيَاعَا^٣

والمعنى كما طينت الفدن بالسياع يقال طينت السطح والبيت^٤.

^١ - أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٦٨.

^٢ - مهمه: مفازة. مغبرة: مملوءة بالغيرة. أرجاؤه: أطرافه ونواحيه، جمع الرّجى.

^٣ - الفدن: القصر. السباع: الطين المخلوط بالطين.

^٤ - سعد الدين التفتازاني، شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ص ١٢٦.

ونقرأ في "الإيضاح": «ومنه القلب كقول العرب: "عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الْحَوْضِ" وردّه مطلقاً قوم وقبله مطلقاً قوم، منهم السكاكي. والحق أنه إن تضمن اعتباراً لطيفاً قبل وإلا ردّ، أما الأول فكقول رؤبة:

وَمَهْمِهِ مُعْبَرٌ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

... فعكس التشبيه للمبالغة ... وأما الثاني فكقول القطامي: كما طينت بالفدن السباعا^١. ونقرأ في "البلاغة أسسها وعلومها وفنونها": «ومن الخروج عن مقتضى الظاهر "القلب" ويكون القلب بإجراء التبادل بين جزئين من أجزاء الجملة لغرض بلاغيّ يستحسنه الفطناء، ويُلحَقُ به القلب في التشبيه^٢. فلا نقرأ في هذه الكتب عن دلالات صنعة القلب في آيات القرآن الكريم، الموضوع الذي يثبت بأنّ للقرآن ولغته فخراً وشرفاً على غيرهما من الكتب واللغات و يثبت بأنّهما أحسن وعاء صبّت فيهما تعاليم ديننا. وفي هذا البحث نريد أن نقول إنّ ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر في القرآن الكريم كداعٍ من الدواعي البلاغيّة تكون ذات تأثير في النفوس والأفكار، لما فيها من عناصر فنيّة إبداعية تتضمّن دلالات فكرية، أو تعبيراتٍ جماليّة، أو إلماحات ذكيّة. وهذا هو الموضوع الذي لم أحصل عليه في كتاب أو مقال ما.

سؤال البحث

ما هي المعاني والدلالات البلاغيّة الكامنة في صنعة القلب في الآيات القرآنيّة وهل أشير إليها في التفاسير؟

هذا هو السؤال الذي يريد البحث أن يجيب عنه من خلال إحصاء أنواع صنعة القلب في الآيات المباركة التي استخدمت هذه الصنعة فيها وهي:

١. قلب الإسناد:

وهو أن يكون الإسناد في اللفظ إلى شيء وفي المعنى إلى شيء آخر مذكور في الكلام، حيث تتوقّف صحة المعنى على توظيف القلب في الكلام^٣ كما نرى في الآيات التالية:

^١ - أبوالمعالج جلال الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٥١.

^٢ - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، ص ١٢٥.

^٣ - محمدعلي الخادمي الكوشا، معاني القرآن، ج ١، ص ٥٤.

✓ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾^١
 أسند العرض إلى الكفار وجعل النار معروضةً عليها مع اشتراط الإدراك في المعروض عليه فجعل المعروض معروضاً عليه وبالعكس. لذلك سبحانه وتعالى يقول لجهنم: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ؟﴾ وهي تجيب: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^٢

فهنا سؤال لطيف؛ ما فائدة هذا القلب؟ لماذا نضع المدرك وهو الإنسان في هذه الآية كالأشياء؟ وماذا يضع البارئ تعالى النار وهي شيء، موضع الحي المدرك ثم يسألها ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ؟﴾
 الغاية المنوية أن الكفار في الآخرة كالأشياء والحطب؛ وأن النار كالحي المدرك المعروض عليه ونشتم رائحة التهكم والتحقير في الآية.

إشكالية التفاسير: كثير من المفسرين لم يسيروا إلى هذه الملاحظة^٣ فما استطاعوا أن يعبروا من جسد الكلام حتى يصلوا إلى روحه ويستفيدوا من حلاوة تعبير عرض الكفار على النار بدلاً من عرض النار عليهم؛ خاصة وأن الله سبحانه وتعالى قال في القسم الأخير من الآية: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾^٤ فنرى القرآن الكريم في موضع آخر لا يستفيد من رائحة التهكم بسبب سياق الآية: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾^٥ ففي هذه الآية يعرض سبحانه وتعالى جهنم للكافرين.

✓ ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾^٦
 قال المبرد: خلق على صفة من شأنه أن يعجل في الأمور^٧. وقال الحسن: معناه خلق الإنسان من ضعف، وهو النطفة. وقال قوم: العجل هو الطين الذي خلق آدم منه. قال الشاعر:
 وَالتَّبَعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَهُ
 وَالتَّلْخُلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

^١ - الأحقاف ٤٦/٢٠.

^٢ - ق. ٣٠/٥٠.

^٣ - حسين بن أحمد حسيني شاه عبدالعظيمي، تفسير اثنا عشري، ج ١٢، ص ٨١، سيدعلي أكبر القرشي، تفسير أحسن الحديث، ج ١٠، ص ١٤٩، ملا محسن فيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج ٥، ص ١٥.

^٤ - الكهف ١٨/٩٩ و ١٠٠.

^٥ - الأنبياء ٢١/٣٧.

^٦ - محمد بن حسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٤٨.

أي الطين.

يقال: لما أجرى الله عزّ وجلّ في آدم روحه من قدميه فبلغت ركبتيه، أراد أن يقوم فلم يقدر، فقال عزّ وجلّ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^١ ويقول بعض المفسرين: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وهو مني يعني بعجل، فطبعه، إذن، عجل، ولكنّ عليه ألا يعجل إلاّ لصالحه^٢. «قال قتادة: معناه خلق الإنسان عجولاً، والمراد به جنس الإنسان^٣. وقال السدي: المعنى به آدم^٤ وقال مجاهد: خلق الإنسان على تعجيل، قبل غروب الشمس يوم الجمعة^٥. وقال قوم: معناه على حبّ العجلة، لأنّه لم يخلقه من نطفة ومن علقه بل خلقه دفعة واحدة.»

الملاحظة الدقيقة التي لم يُشر إليها في كثير من التفاسير^٦ هي أنّ "صنعة القلب" في هذه الآية، باعتبارها فتناً بلاغيّاً، تدلّ على ميزة خاصّة للإنسان، وهي العجلة وأنّه يكون عجولاً في كسب الخير أو دفع الشرّ مبالغاً؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وهذا أبلغ من "ما أعجله" أو "ما أشدّ استعجاله" كما يقول العرب للذي يأكل الطعام كثيراً: «فلانٌ أكلٌ» أو: «خُلِقَ فلانٌ من أكلٍ». وكما يقال: إنّما هو إقبال وإدبار أو فلان خير كلّه. ومع أنّنا نقرأ في كثير من الآيات القرآنيّة بأنّ الإنسان عجول، مثل: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾^٧ ووصف بأنّه يستعجل العذاب، مثل: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾^٨ و﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾^٩، لكنه سبحانه وتعالى استفاد من صنعة القلب ليرينا أنّ الإنسان يكون عجولاً غاية

^١ - سيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٨١٩.

^٢ - محمد صادقي تهراني، البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ج ١، ص ٣٢٥.

^٣ - محمد بن حسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٤٨.

^٤ - نفس المرجع و الصفحة.

^٥ - نفس المرجع و الصفحة.

^٦ - محمد جواد النجفي الخميني، تفسير آسان، ج ١٢، ص ٢٤١، (سيد محمد الحسيني الشيرازي، تبيين القرآن، ج ١، ص ٣٣٧)، (سيد علي أكبر القرشي، تفسير أحسن الحديث، ج ٦، ص ٥١١)، (محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٨٨)، (محمد بن حسن الشيباني، فحج البيان عن كشف معاني القرآن، ج ٣، ص ٣٥٦)، (فيض كاشاني، ٥١٤١٥ هـ، ج ٣، ص ٣٣٩)، (محمد جواد مغنبيه، تفسير الكاشف، ج ٥، ص ٢٧٨)، (ابن عجيبة أحمد بن محمد البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج ٣، ص ٤٦٢)، (عبدالقادر ملاحويش آل غازي، بيان المعاني، ج ٤، ص ٣٠٦)، (نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ٤٢٦)، (محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج ٧، ص ١٩٤)، (محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٣، ص ١١٧).

^٧ - الإسراء ١٧/١١.

^٨ - الأنفال ٨/٣٢.

^٩ - ص ١٦/٣٦.

العجلة فقال عزّ شأنه: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ ليفيدنا مبالغة الإنسان وإفراطه في العجلة. أما استشهاد بعض المفسرين^١ بالشعر المذكور الذي يكون "العجل" فيه بمعنى "الطين" فلا يؤيده السياق في الآية، خاصة عبارة: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

إشكالية التفاسير: إن عدداً من المفسرين لم يشيروا إلى تفسير الآية^٢ وبعض منهم ينفون أن تكون صفة العجلة من طبيعة الإنسان، حيث يقول مغنية: «وفهم بعض المفسرين من الآية الدلالة على أن الإنسان عجول بالطبع والفطرة! وهذا ينافي النهي عن العجلة، لأن ما بالذات لا يكون موضوعاً لأمر أو نهي وعليه فنعت الإنسان بالعجول أو الكفور أو اليؤوس وما أشبهه وهو تفسير لسلوكه بالنظر إلى بعض موافقه، وليس تحديداً لطبيعته وهويته»^٣ وهو لا يستمر في تفسير الآية ولو بكلمة واحدة.

٧ ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^٤.

نَاءَ بِحِمْلِهِ يُنُوءُ نُوءًا وَتَنُوءًا: نَهَضَ بِجَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ. نَاءَ بِالْحِمْلِ إِذَا نَهَضَ بِهِ مُثْقَلًا. وَنَاءَ بِهِ الْحِمْلُ إِذَا أَثْقَلَهُ. (نَاء) قوله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ﴾ أي تنهض بها والمعروف أن "قارون" كان من أرحام موسى وأقاربه "ابن عمه أو ابن خالته" وكان عارفاً بالتوراة، وكان في بداية أمره مع

^١- (محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٣، ص ١١٧)، (أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم النعالي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٦، ص ٢٧٦)، (علاء الدين علي بن محمد البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ٢٢٦)، (حسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٣٣٣، ص ٢٨٩)....

^٢- (ابو محمد سهل بن عبد الله التستري، تفسير التستري، ج ١، ص ١٠٤)، (ابوحزرة ثابت بن دينار ثمالی، تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٤٤)، (محمد بن محمد شيخ مفيد، تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٥٥)، (البروجردی، تفسير جامع، ج ٤، ص ٣٤١)، (الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج ٣، ص ١٣)، (شهاب الدين أحمد بن محمد ابن هانم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ج ١، ص ٢٣٢)

^٣- محمد جواد مغنيه، تفسير الكاشف، ج ١، ص ٤٢٤. وهو يشير إلى تفصيل كلامه بقوله: «وقد بسطنا الكلام في ذلك عند تفسير الآية ٩ من سورة هود ج ٤، ص ٢١٣ وتفسير الآية ٣٤ من سورة ابراهيم ص ٤٤٩ من المجلد المذكور.»

^٤ - القصص ٧٦/٢٨.

^٥ - محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ١٧٤.

^٦ - حسين بن محمد راغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج ١، ص ٨٣٠.

المؤمنين^١، إلا أن غرور الثروة جرّه إلى الكفر ودعاه إلى أن يقف بوجه موسى عليه السلام وأمانه ميته ذات عبرة للجميع، وبغى على قومه كما ورد في الآية: ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ أي جاوز الحد في التجبر والتكبر عليهم، وسبب بغيه إنه كان ذا ثروة عظيمة، ولأنه لم يكن يتمتع بإيمان قوي فقد غرته هذه الثروة الكبيرة وجرته إلى الانحراف والاستكبار. و"المفاتيح" «جمع مفتاح، بالكسر وهو ما يفتح به الغلق، أو بالفتح وهو الخزانة»^٢ والأقرب إلى الصواب هو المعنى الثاني.

قال الله سبحانه و تعالى: ﴿لَتَنوُّا بِالْعُصْبَةِ﴾ والمعنى العصبة تنوء بها. هذا هو ظاهر المعنى ويبدو أن هناك ملاحظة دقيقة في هذا "القلب" وهي بما أن قارون حصل على الكنوز بالظلم والبغي، ما أحبّ العصبة أن يحملوها وكأنه كانت العصبة ثقيلة على الكنوز بدل أن تكون الكنوز ثقيلة على العصبة وكأنه كانت العصبة على كاهل الكنوز بدل أن تكون الكنوز على كاهل العصبة. فتدلّ "صنعة القلب" في الآية على "شدة كراهة" العصبة لحمل الكنوز خاصة أن قارون كان يبغى عليهم ويستخفّ بحقوقهم كما أشارت إليه الآية والظلم يكون أشدّ مضاضة من ذوي القربى كما قال طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند^٣

خاصة بالنظر إلى القسم الأخير من الآية، حيث يقول: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وما جاء في الآية بعدها: ﴿وَأَنْتَغِي فِيهَا مَا تَكْتُمُ اللَّهُ لِلْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُصِيبُكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^٤ وبالنظر إلى أن العصبة كانوا ﴿أُولِي الْقُوَّةِ﴾ ونحن نعلم أن العصبة تنهض بمفاتيح الكنوز ولا يمكن عقلاً وعملاً أن تنهض المفاتيح بالعصبة.

إشكالية التفاسير: عدم التفات المفسرين إلى صنعة القلب في الآية جعلهم يبالغون في تفسيرها، حيث جاء في تفسير المراغي: «روي عن ابن عباس أن مفاتيح خزائنه كان يحملها أربعون رجلاً من الأقوياء، وكانت أربعمئة ألف يحمل كل رجل عشرة آلاف، ولا شك أن مثل هذا التحديد يحتاج إلى سند قوي يعسر الوصول إليه»^٥.

^١ - حسين بن احمد حسيني شاه عبدالعظيمي، تفسير اثنا عشري، ج ١٠، ص ١٧٨.

^٢ - علي بن حسين العاملي، الوجيز في تفسير القرآن العزيز، ج ٢، ص ٤٨٥.

^٣ - طرفة بن العبد، شرح المعلقات السبع للزوزني، ص ٩٤.

^٤ - القصص ٢٨/٧٧.

^٥ - احمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٠، ص ٩٣.

ويرفض ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" أن يكون في الآية قلب بقوله: «وأما قول أبي عبيدة بأن تركيب الآية فيه قلب، فلا يقبله من كان له قلب»^١.

✓ ﴿قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^٢
 "أُنِّي": يكون على التعجب استعظاماً للقدرة على نقض العادة لا التشكك في كلامه سبحانه و تعالى. لم يشر إلى قلب الإسناد في الآية كثير من التفاسير^٣ وفي الآية خلاف لمقتضى الظاهر أي بدل أن يسند البلوغ إلى زكريا أسند إلى الكبر توسعاً في الكلام، ففي قلب الإسناد في هذه الآية ملاحظة دقيقة؛ كأنّ الكبر طالب له، لأنّ الحوادث طارئة على الإنسان، فكأنّها طالبة له وهو المطلوب. ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ الكبر فاعل بلغ وياء المتكلم في بلغني مفعول بمعنى أن الكبر وصل إليّ دون أن أستطيع دفعه، وهذا أفصح وأبلغ لأنّ الفعل إذا صدر من الإنسان فهو مختار في إنجازه أو عدم إنجازه كما تقول (بلغت البلد) أو (بلغت الدار) ومثلها، ولكن بلوغ الكبر ليس اختيارياً بل الإنسان مجبر فيه.

إشكالية التفاسير: يقول صاحب تفسير "إرشاد الأذهان" في تفسير ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾: «وأنا طاعن في السن»^٤ ويقول صاحب "البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن" في تفسيرها: «عقماً مني»^٥ كما يقول صاحب "تفسير الصافي" في تفسيرها: «أثر في السن وأضعفني»^٦ فكما رأينا هؤلاء المفسرون لا يفسرون الآية بالنظر إلى صنعة القلب فيها فلا يصلون إلى كنه المفهوم.

✓ ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾^٧. صدر الآيات في سورة مريم مطابق لترتيب الزمن، لأنّه قدّم: أنّه وهن العظم منه ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ وقال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي، وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ فلما أعاد ذكرها في الاستعلاء أحرّ ذكر الكبر ليوافق "عتياً" رؤوس الآي، وهو باب

^١- محمد بن طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ١٠٧.

^٢- آل عمران ٤٠/٣.

^٣- نظام الدين حسن بن محمد النيشابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج ١، ص ١٩٠، (عبدالله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ج ٢، ص ١٦)، (محمد جواد البلاغي النحفي، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٨١)، (محمد بن حبيب الله السبزواري النحفي، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ج ١، ص ٦٠)، (ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢، ص ٤٨٦) و....

^٤- محمد بن حبيب الله السبزواري النحفي، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ج ١، ص ٦٠.

^٥- محمد الصادقي قمراني، البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ج ١، ص ٥٥.

^٦- ملا محسن فيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج ١، ص ٣٣٥.

^٧- مريم ٨/١٩.

مقصود في الفصاحة يترجّح إذا لم يخلّ بالمعنى، والعطف هنا بالواو، فليس التقديم والتأخير مشعراً بتقدّم زمني، وإنما هذا من باب تقديم المناسب في فصاحة الكلام.

٢. قلب المعطوف:

✓ ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^١ نرى بأن أصحاب بعض الكتب التفسيرية المعتبرة يعضّون الطرف على اللطائف البلاغية الرائعة ويأتون بأراء عديدة لتبرير سبب تقديم "الإهلاك" قبل "مجيء البأس" في الآية، ننقل بعضها:

أ. «الفاء قد تجيء بممثلة الواو ولا تعطى رتبة»^٢ وهذا لا يجوز، لأنّه نقل للحرف عن معناه الأصلي بغير دليل.

ب. «تكون الفاء لترتيب القول فقط فكأنّه أخبر عن قرى كثيرة أنّه أهلكتها ثمّ قال فكان من أمرها مجيء البأس»^٣.

ج. «إمّا أن يختلف المدلولان بأن يكون المعنى أهلكتها بالخذلان وقلة التوفيق فجاءها بأسنا بعد ذلك»^٤.

د. «قيل: الفاء ليست للتعقيب وإمّا هي للتفسير، كقوله: توضّأ فغسل كذا ثمّ كذا»^٥.

ه. «لأنّ الهلاك والبأس يقعان معاً كما تقول: أعطيتني فأحسنت، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله: إنّما وقعا معاً، فاستجيز ذلك. [وليس هذا مثل ذلك، لأنّ هذا إنّما جاز لأنّه قصد الإعطاء ثمّ الإحسان] وإن شئت كان المعنى: وكَم من قرية أهلكتها فكان مجيء البأس قبل الإهلاك، فأضمرت كان»^٦.

فمن الواجب علينا أن نبحث عن سبب آخر لأننا ندرى أنّ الإهلاك إنّما هو يقع بعد مجيء البأس عادة فلماذا جاء في هذه الآية المباركة قبله؟ مع أنّنا نقرأ في "الإيضاح" بأنّ القلب لا يوجد في الآية لعدم تضمّنه اعتباراً لطيفاً^٧. لكننا إذا تأملنا ودقّقنا في الآية نرى صنعة "القلب" في الآية موجودة

^١ - الأعراف/٧/٤.

^٢ - ابن عطية عبد الحقّ بن غالب الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٣٧٤.

^٣ - أثير الدّين أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر الخيط في التفسير، ج ٥، ص ١١.

^٤ - نفس المرجع والصفحة.

^٥ - نفس المرجع والصفحة.

^٦ - أبوزكريا يحيى بن زياد فراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٧١.

^٧ - أبوالمعالى جلال الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٥٢.

والاعتبار هو المبالغة البليغة في شدة البأس، أي أن القرية هلكت من مهابة البأس ومخافته قبل مجيئه إليها كما يموت إنسان بمجرد رؤية الحية الجسيمة قبل أن تلدغه.

إشكالية التفاسير: كثير من المفسرين لم يشيروا إلى تفسير الإتيان قبل مجيء البأس في الآية^١ والبعض الآخر قدروا كلمة أو كلمات حتى تستقيم العبارة والمعنى عوضاً عن توظيف الصنائع البلاغية الرائعة في تفسير هذه الآية؛ فعلى سبيل المثال يقول سبزواري نجفي في تبرير ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنًا﴾ «أي حين حلّ فيها عذابنا»^٢ وبعض من التفاسير يبررون الإهلاك قبل وقوع البأس من قبيل عطف التفصيل على الإجمال بأن ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ يكون بمعنى «أردنا إهلاك أهلها»^٣ ويكون جميع هذه التبريرات بسبب عدم الاهتمام بروح الكلام، أي بالبلاغة.

✓ ﴿أَذْهَبُ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِيهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾^٤ «فإن قيل: إذا تولى عنهم فكيف يعلم جوابهم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: ثم تولى عنهم مستتراً من حيث لا يرونك، فانظر ماذا يردون من الجواب، وهذا قول وهب بن منبه. والثاني: أن في الكلام تقدماً وتأخيراً، تقديره: فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم.»^٥

﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ «أي تنحّ وحمل على ذلك لأن التولّى بالكناية يناهى قوله: ﴿فَأَنْظُرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ إلا أن يحمل على القلب.^٦ ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي تنحّ إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون، وروي أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة، وقيل: إن التقدير انظر ماذا يرجعون، تولى عنهم فهو من المقلوب و الأول أحسن ما إذا يرجعون من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول.^٧

إشكالية التفاسير: نرى في القرآن وحدة عضوية جميلة من حيث اللفظ والمعنى، وفي قصة سليمان

^١- (ملا محسن فيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٨٠)، (سيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٥١٩)، (سيد محمد حسين الحسيني الهمداني، أنوار درخشان، ج ٦، ص ٢٣٦)، (ملا محسن فيض الكاشاني، الأصفى في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٥٩) ...

^٢- محمد بن حبيب الله السبزواري النجفي، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ج ١، ص ١٥٦.

^٣- سيد محمد الحسيني الشيرازي، تبين القرآن، ج ١، ص ١٦٣.

^٤- النمل ٢٧/٢٨.

^٥- ابوالفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٣، ص ٣٦٠.

^٦- سيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج ١٠، ص ١٨٨.

^٧- محمد بن أحمد ابن جزى الغرناطي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ج ٢، ص ١٠١.

وبلقيس مع أننا نرى أهمية الدقة وإمعان النظر من "الفاء" في ﴿فَانظُرْ﴾ وفي نفس ﴿انظُرْ﴾ والنظر هو التأمل والتصفح أي تأمل وتفكر فيما يرجع بعضهم إلى بعض من القول نرى أن التعجيل والسرعة عنصر هام بحيث يقول سليمان: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^١ ويجاب من جانب عفريت من الجن: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾^٢ أي من مجلس قضائك، لأنه «كان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة إلى نصف النهار.»^٣ فـ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قيل في بعض كتب التفسير^٤ هو حيريل. وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف بن برخيا وقيل هو سليمان نفسه، فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه فأراد سليمان إظهار معجزة، فتحداهم أولاً ثم بين للعفريت أنه يتأتى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت. فعلى آية حال نرى السرعة هامة في هذه القصة فربما تكون هي "سبب القلب" في هذه الآية. وبما أن سليمان أراد أن يؤكد للهدهد على التعجيل في أداء مهمته والإتيان بما يردون عليه بالدقة والتصفح فلهذا السبب قدم ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ على ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ليؤكد على سرعة رجوعه؛ فهذه على ما يظهر للباحث هي حكمة استخدام "صنعة القلب" في هذه الآية التي نسميها في البلاغة "إرادة سرعة الامتثال".

٣. قلب التشبيه:

هو في الاصطلاح ما عكس طرفي التشبيه في متعارف الناس بأن يجعل ما يستعمل في متعارفهم مشبهاً، مشبهاً به؛ وما يستعمل مشبهاً به، مشبهاً فيكون في الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه. نحو:

✓ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾^٥ إن الذين كانوا يعتقدون بأن الربا

^١ - النمل ٢٧/٣٨.

^٢ - النمل ٢٧/٣٩.

^٣ - الطبرسي، فضل بن حسن مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٣٤٩.

^٤ - راجع إلى: علاء الدين علي بن محمد البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ٣٤٧.

^٥ - انظر تفصيل الكلام عن هذا الموضوع في: (محمد الفاضلي، دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة، ص ٢١٧)؛

(الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٣٧)

^٦ - البقرة ٢/٢٧٥.

يكون حلالاً كان عليهم أن يقيسوا الربا بالبيع. فإن سألت: هلاً قيل إنَّما الربا مثل البيع بدل ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾؟ ولماذا استخدم سبحانه وتعالى "القلب" في الآية؟ قال بعض المفسرين: «لأنَّ الكلام في الربا لا في البيع، فوجب أن يقال إنَّهم شَبَّهوا الربا بالبيع فاستحلوه»^١ ولكن الجواب أنَّه جيء به على سبيل المبالغة وهو آتة قد بلغ من اعتقادهم في حلِّ الربا أنَّهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحلِّ حتَّى شَبَّهوا به البيع. فيبدو للباحث أنَّ حكمة استخدام صنعة القلب في هذه الآية هي المبالغة في حلِّ الربا وأصلته أو يمكن القول بأنَّهم لاحظوا في البيع فائدة وربحاً وفي الربا، الذي هو الركيزة الاقتصادية التي يقوم اقتصادهم عليها، كذلك، إلاَّ أنَّ الربح في الربا هو أكثر بكثير منه في البيع لذلك جعلوا الربا مشبَّهاً به لكثرة وجه الشبه (الربح) فيه وجعلوا البيع مشبَّهاً لقلته وجه الشبه فيه "والله أعلم".

إشكالية التفاسير: بعض من المفسرين ما استطاعوا أن يصلوا إلى إرادة "قلب التشبيه" لجعل وجه الشبه أي الحلالية أقوى في المشبَّه به عند الكفار في زعمهم الباطل فيفسرون قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ بـ: «هذه الآية تبيِّن منطق المرابين^٢ فهم يقولون: ما الفرق بين التجارة والربا؟ ويقصدون أنَّ كليهما يمثلان معاملة تبادل بتراضي الطرفين واختيارهما»^٣ وبعض من المفسرين ما استفادوا من الملاحظة البلاغية الرائعة في الآية فبالنظر إلى ظاهر الآية، عبَّروا عن ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ بعدم الاختلاف بين البيع و الربا؛ كما يقول صادقي تهراني في "البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن": «﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ دون ربا ﴿مِثْلُ الرِّبَا﴾ فلماذا الاختلاف بينهما؟»^٤ وربما يكون الغرض من استخدام "تشبيه المقلوب" في الآية غاية المبالغة في حلِّ الربا واستخدامه في حياتهم المادية والتجارية.

✓ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^٥ فإنَّ مقصود الآية تنقيص "من لا يخلق" بالنسبة إلى "من يخلق" والعادة في مثلها أن تنفى عن الناقص شبهه بالكامل أي تنفى عمَّن لا يخلق شبهه بمن يخلق، ولكن في الآية عكس هذا الموضوع وبدل أن يقول: "أَفَمَنْ لَا يَخْلُقُ كَمَنْ يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" قال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فنفى عن الكامل شبهه بالناقص. فما هو السبب؟ «فإن قيل: قوله: أ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ المقصود منه إلزام عبدة الأوثان، ، حيث

^١ - محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ١، ص ٣٢٠.

^٢ - الذين يأكلون الربا.

^٣ - ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢، ص ٣٤٠.

^٤ - محمَّد الصادقي تهراني، البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ج ١، ص ٤٧.

^٥ - النحل ١٦/١٧.

جعلوا غير الخالق مثل الخالق في التسمية بالإله، وفي الاشتغال بعبادتها، فكان حق الإلزام أن يقال: أفمن لا يخلق كمن يخلق. والجواب: المراد منه أن من يخلق هذه الأشياء العظيمة ويعطي هذه المنافع الجليلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية باسم الإله، وفي الاشتغال بعبادتها والإقدام على غاية تعظيمها فوق التعبير عن هذا المعنى بقوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾^١. يبدو أن النظر في الآية يكون في تقييح عبادة هذه الأصنام لأنها جمادات محضة، وليس لها فهم ولا قدرة ولا اختيار فشأنها منحط وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾^٢ يدل على نفس هذا المعنى بشرح نقصهم في ذواتهم وصفاتهم. وكما يقول في الآية الآتية هذه الأصنام أموات لا تحصل عقب موتها حياة: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^٣.

لما ختم الله سبحانه سورة الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السورة بوعيدهم أيضاً. وتكون السورة «مكية إلا آية هي قوله ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^٤ وقال الشعبي: نزلت النحل كلها بمكة إلا قوله ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾^٥ إلى آخرها.^٦ فكان سياق الكلام من بداية السورة أن تذكر الدلائل الدالة على وجود القادر الحكيم من عجائب قدرته وغرائب صنعته ومن الترتيب الأحسن والنظم الأكمل فيبدأ سبحانه وتعالى السورة بـ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾^٧ وبعد ذلك يقول: ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ...﴾ (٢) فيقول: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ (٣) وبعده: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ...﴾ (٤) وبعد ذلك يقول: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾ (٥) فيقول: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ (٨) فيقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ...﴾ (١٠)، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾ (١٢)، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ...﴾ (١٤)، ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ...﴾ (١٥) فكانت هذه الأشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى فسبب تقديم "من

^١ - فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٠، ص ١٩٣.

^٢ - النحل ١٦/٢٠.

^٣ - النحل ١٦/٢١.

^٤ - النحل ١٦/٤١.

^٥ - النحل ١٦/١٢٦.

^٦ - محمد بن حسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ٣٥٧.

^٧ - النحل ١/١٦.

يخلق" على "من لا يخلق" مراعاة سياق الكلام في السورة أي التكلم عن قدرة خلقه السماوات، الأنعام... فعلى هذا السياق نفى التشبيه بين الله سبحانه وتعالى وبين خلقه، وعلى هذا السياق أثبت أن الصفات المتقدمة لله مستحقة.

إشكالية التفاسير: أولاً: كثير من المفسرين لم يشيروا إلى هذا التقديم والتأخير^١. ثانياً: بعض من المفسرين يعتقدون بأن التشبيه في هذه الآية من نوع التشبيه المقلوب الذي يجعل الإنسان فيه المشبه الحقيقي مشبهاً به ويجعل المشبه به الحقيقي مشبهاً، لأنه يريد أن يدعي أن وجه الشبه يكون في المشبه الحقيقي أقوى من المشبه كما يقول الدرويش: «التشبيه المقلوب: وذلك في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ إذ مقتضى الظاهر عكسه لأن الخطاب لعباد الأوثان، حيث سموها آلهة تشبيهاً به تعالى فجعلوا غير الخالق كالخالق فجاءت المخالفة في الخطاب كأنهم لمبالغتهم في عبادتها وإسفافهم - بالتالي - وارتكاس عقولهم صارت عندهم كالأصل وصار الخالق الحقيقي هو الفرع فجاء الإنكار على وفق ذلك.... كما فعل البحتري في وصف البركة التي بناها المتوكل على الله إذ قال:

كأنها حين لَحَّتْ فِي تَدْفُقِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَاذِيهَا

والمعهد أن تشبه يد الخليفة في تدفقها بالكرم بالبركة إذا تدفقت بالماء^٢. والدرويش أخطأ في قوله لأن الكلام لا يكون من جانب الوثنين لكي يدعوا بأن وجه الشبه يكون في المشبه الحقيقي أقوى من المشبه به كما فعل البحتري في وصف البركة التي بناها المتوكل.

بعض المفسرين لم يصلوا إلى رأي واحد سديد فكانوا يأتون بأراء مختلفة وبعيدة؛ كما يقول البيضاوي: «وكان حق الكلام أ فمن لا يخلق كمن يخلق، لكنه عكس تنبيهاً على أنهم بالإشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيهاً بها... أو للمشكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة»^٣

^١ - (محمد الصادقي تهراني، البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ج ١، ص ٢٦٩)، (سيد محمد الحسين الشيرازي تبيين القرآن، ج ١، ص ٢٨١)، (رضا خاني، ترجمه بيان السعادة في مقامات العبادة، ج ٨، ص ١٠٣)، (محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٢١٨)، (محمد بن حسن الشيباني، نهج البيان عن كشف معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٠٢)، (علي بن حسين العاملي، الوجيز في تفسير القرآن العزيز، ج ٢، ص ١٦٦)، (مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٢، ص ٤٦٢)، (محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ج ٣، ص ١٨٥) و....

^٢ - محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج ٥، ص ٢٨١.

^٣ - عبدالله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل ج ٣، ص ٢٢٣.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^١ إِنَّ جَمَلَتِي ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ معترضتان^٢ من جانب الله سبحانه وتعالى ولا تكونان من جانبها لأنه إن كان من جانبها، كان من الواجب عليها أن تقول: "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُهَا" وبدل أن تقول ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ كانت تقول: "وَلَيْسَ الْأُنْثَىٰ كَالذَّكَرِ" وما أشار كثير من المفسرين إلى هذه الملاحظة الجميلة إلا قليلاً منهم، فيقول العلامة الطباطبائي: «يظهر أن قوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ مقول له تعالى لا لامرأة عمران، ولو كان مقولاً لها لكان حقّ الكلام أن يقال: وليس الأنثى كالذكر لا بالعكس وهو ظاهر فإن من كان يرجو شيئاً شريفاً أو مقاماً عالياً ثم رُزِقَ ما هو أخسّ منه وأرداً^٣ إنّما يقول عند التحسّر: ليس هذا الذي وجدته هو الذي كنت أطلبه وأبتغيه، أو ليس ما رزقته كالذي كنت أرجوه، ولا يقول: ليس ما كنت أرجوه كهذا الذي رزقته ألبتة»^٤.

وأما السؤال المطروح فهو: "لماذا استخدم سبحانه وتعالى "القلب" في هذه الآية؟ و بدل أن يقول "وَلَيْسَ الْأُنْثَىٰ كَالذَّكَرِ" على سبيل التحسّر والتحرّج؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾؟ والجواب دليل واضح على إعجاز القرآن الكريم ومثبت لإيجازه الذي قال فيه أمير المؤمنين علي(ع): «ما رأيت بليغاً قطّ إلاّ وله في الكلام إيجاز وفي المعاني إطالة» وهو «قوله: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ، أنّه مسوق لبيان أنّنا نعلم أنّها أنثى لكننا أردنا بذلك إيجاز ما كانت تتمناه بأحسن وجه وأرضى طريق، ولو كانت تعلم ما أردناه من جعل ما في بطنها أنثى لم تتحسّر ولم تحزن ذاك التحسّر والتحرّج والحال أنّ الذكر الذي كانت ترجوه لم يكن ممكناً أن يصير مثل هذه الأنثى التي وهبناها لها، ويترتب عليه ما يترتب على خلق هذه الأنثى فإن غاية أمره أن يصير مثل عيسى نبياً مبرئاً للأكمه والأبرص ومحياً للموتى لكن هذه الأنثى ستتمّ بها كلمة الله وتلد ولداً بغير أب، وتجعل هي وابنها آية للعالمين، ويكلم الناس في المهدي، ويكون روحاً وكلمة من الله، مثله عند الله كمثله آدم إلى غير ذلك من الآيات

^١ - آل عمران ٣/٣٦.

^٢ - الاعتراض اصطلاحاً: أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين في معناهما بجملة أو أكثر لا محلّ لها من

الإعراب لنكتة بلاغية سوى دفع الإيهام. (الميداني، ١٤١٦هـ - ج ٢، ص ٨٠).

^٣ - هذا ومع احترامي واعتزازي بالعلامة إلاّ أنّي لا أتصوّر ولا أعتقد بأنّ الله الذي خلق الذكر والأنثى يضع فرقاً بين

خلقه بهذه العموميّة، كيف يكون ذلك والسيدة فاطمة الزهراء أنثى ونحن شيعتها؟

^٤ - سيّد محمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٧٢.

الباهرات في خلق هذه الأنثى الطاهرة المباركة وخلق ابنها عيسى(ع)^١. فيبدو أن الله سبحانه و تعالى دون أن يأتي بهذه الاستدلالات المطوّلة في كتابه، يشير إلى جميع هذه المواضيع يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر أي يجعل "الذكر" مكان "الأنثى"، فربّما يكون حكمة استخدام صنعة القلب في هذه الآية "الإيجاز". والله أعلم.

إشكالية التفاسير: أولاً: كثير من المفسرين لم يشيروا إلى هذا التقديم والتأخير^٢. ثانياً: بعض المفسرين يأتون بآراء غريبة كما يقول ابن عاشور: «ونفي المشابهة بين الذكر والأنثى يقصد به معنى التفصيل في مثل هذا المقام وذلك في قول العرب: ليس سواء كذا وكذا، و... كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٣ وقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾^٤ و... ولذلك لا يتوحدون أن يكون المشبه في مثله أضعف من المشبه به، إذ لم يبق للتشبيه أثر، ولذلك قيل هنا: وليس الذكر كالأنثى، ولو قيل: وليست الأنثى كالذكر لفهم المقصود، ولكن قدّم الذكر هنا لأنه هو المرجو المأمول فهو أسبق إلى لفظ المتكلم^٥. كيف يمكن أن نقول: تقدّم الذكر للتفصيل فقط؟ أو نريد أن ندعي بأن المشبه لا يكون أضعف من المشبه به؟ والغرض من صنعة القلب البلاغية هذه كما قاله العلامة هو هذه الأنثى ستتمّ بها كلمة الله وتلد ولدًا بغير أب، وتجعل هي وابنها آية للعالمين، ويكلّم الناس في المهدي، ويكون روحاً وكلمة من الله، مثله عند الله كمثل آدم إلى غير ذلك من الآيات الباهرات في خلق هذه الأنثى الطاهرة المباركة وخلق ابنها عيسى(ع) الذي يكون ميرثاً للأكمه والأبرص ومحياً للموتى.

^١ - نفس المرجع والصفحة.

^٢ - (عبدالله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ج ٢، ص ١٤)، (أثير الدين أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٣، ص ١١٦)، (ابن عجيبة أحمد بن محمد البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج ١ ص ٣٤٦)، (نصربن محمد بن أحمد السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ٢٠٨)، (عبدالقادر ملاحويش آلغازي بيان المعاني، ج ٥، ص ٣٣٧)، (الأسفرايني، ج ١، ص ٣٥١)، (العكبري، ج ١، ص ٧٧)، (شهاب الدين أحمد بن محمد ابن هائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ج ١، ص ١٢١) و ...

^٣ - الزمر ٩/٣٩.

^٤ - الأحزاب ٣٣/٣٢.

^٥ - محمد بن طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٨٦.

النتيجة

وما يظهر للباحث بعد هذه الدراسة أنه لا يكون "القلب" عشوائياً بل يكون مرسى وموطداً على أصول بلاغية إعجازية. فإذا بحثنا عن "دلالة" عدول بعض الجمل عن مقتضى الظاهر في القرآن أي "القلب" فيه؛ رأينا أن هذا الخروج يكون أكثر اقتضاً وأدق سرّاً لتبيين المعنى، كما يبدو أن تكون الحكمة على سبيل المثال ولا الحصر في ﴿وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى﴾ "الإيجاز" وفي ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظَرُوهُمَا﴾ "إرادة سرعة الامتثال" وفي ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ "شدة كراهة" العصبية لحمل الكنوز وغيرها من دلالات صنعة القلب في القرآن الكريم. إذ بها تكشف الأستار عن جانب من وجوه الإعجاز وتظهر بعض المعاني والمقاصد من جانب آخر.

هذا وبالنظر إلى التفاسير القرآنية نرى أن كثيراً من المفسرين الكرام وإن ورد في قليل من تفاسيرهم ذكر لبعض الحكم والأسرار البلاغية لهذه الصنعة؛ لم يدرسوها في تفاسيرهم القيمة مستوفية لدلالاتها البلاغية، وحكمها اللطيفة، ومعانيها الدقيقة. فعلى هذا الأساس إذا نُظِرَ إلى آيات قرآنية مثل ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، و﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ من منظار وجود صنعة القلب فيها قُدِّمَ على رأي الباحث. تفسير أقرب إلى الصواب وأمثل للواقع. والله أعلم.

پروشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربية:

١. القرآن الكريم

٢. آل سعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، الطبعة الثانية، بيروت: مكتبة النهضة العربية، ٥١٤٠٨ ق.
٣. الألوسي، سيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: علي عبدالباري عطية، الطبعة الأولى، بيروت: دارالكتب العلمية، ٥١٤١٥ ق.
٤. ابن جزى الغرناطي، محمد بن أحمد، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: دكتور عبدالله خالد الطبعه الأولى، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ٥١٤١٦ ق.
٥. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، ٥١٤٢٢ ق.
٦. ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير والتنوير، (د. ط)، د. ت.
٧. ابن عجيبة أحمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، (د. ط) القاهرة: انتشارات دكتور حسن عباس زكي، ٥١٤١٩ ق.
٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ٥١٤١٤ ق.
٩. ابن هائم، شهاب الدين أحمد بن محمد، التبيان في تفسير غريب القرآن، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٥١٤٢٣ ق.
١٠. الأسفرايني، أبوالمظفر شاهفور بن طاهر، تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم، الطبعة الأولى، تهران: انتشارات علمي وفرهنگي، ٥١٣٧٥ ش.
١١. الأندلسي، ابن عطية عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ٥١٤٢٢ ق.
١٢. الأندلسي، أنير الدين أبوحيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: الصدقي محمد جميل، (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ٥١٤٢٠ ق.
١٣. البحراني، سيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة-قم، الطبعة الأولى، تهران: انتشارات بنياد بعثت، ٥١٤١٦ ق.
١٤. البروجردي، سيد حسين، تفسير الصراط المستقيم، تحقيق: غلامرضا مولانا البروجردي، الطبعة الأولى، قم: مؤسسة أنصاريان، ٥١٤١٦ ق.

١٥. البغدادي، علاء الدين علي بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٥هـ.ق.
١٦. البغوي، حسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.ق.
١٧. البلاغي النجفي، محمد جواد، **آلاء الرحمن في تفسير القرآن**، تحقيق: واحد تحقيقات إسلامي بنياد بعثت، الطبعة الأولى، قم: بنياد بعثت، ١٤٢٠هـ.ق.
١٨. البلخي، مقاتل بن سليمان، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ.ق.
١٩. البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل و أسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.ق.
٢٠. التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله، **تفسير التستري**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.ق.
٢١. التفتازاني، سعد الدين، **شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني**، الطبعة التاسعة، دار الحكمة، قم، ١٣٧٧هـ.ش.
٢٢. الثعلبي النيشابوري أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.ق.
٢٣. الثمالي، أبو حمزة ثابت بن دينار، **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين / محمد هادي معرفت، الطبعة الأولى، بيروت: انتشارات دار المفيد، ١٤٢٠هـ.ق.
٢٤. الحسيني الشيرازي سيّد محمد، **تبيين القرآن**، الطبعة الثانية، بيروت: دار العلوم، ١٤٢٣هـ.ق.
٢٥. الحقي البروسوي، إسماعيل، **تفسير روح البيان**، د. ط، بيروت: دار الفكر، د. ت.
٢٦. الخطيب القزويني، أبو المعالي جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني و البيان و البديع**، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، دون تاريخ.
٢٧. الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.ق.
٢٨. الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلم، دمشق: الدار الشامية، ١٤١٢هـ.ق.
٢٩. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الطبعة الثانية، بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ.ق.

٣٠. الزمخشري، محمود، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، ٥١٤٠٧ ق.
٣١. الزوزني، **شرح المعلقات السبع**، د.ط، بيروت، مكتبة المعارف، ٥١٤٠٨ ق.
٣٢. درويش، محي الدين، **إعراب القرآن وبيانه**، الطبعة لرابعة، سورية: دارالإرشاد، ٥١٤١٥ ق.
٣٣. السبزواري النحفي، محمد بن حبيب الله، **إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن**، الطبعة الأولى، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، ٥١٤١٩ ق.
٣٤. السكاكي، أبويعقوب، **مفتاح العلوم**، د. ط، د. ت.
٣٥. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بحر العلوم، د. ت.
٣٦. الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، الطبعة الأولى، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب، ٥١٤١٤ ق.
٣٧. الشيباني، محمد بن حسن، **فحج البيان عن كشف معاني القرآن**، تحقيق حسين درگاهي، الطبعة الأولى، تهران: بنياد دايرة المعارف الإسلامي، ٥١٤١٣ ق.
٣٨. شيخ مفيد، محمد بن محمد، **تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: سيد محمد علي آيازي، الطبعة الأولى، قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، ٥١٤٢٤ ق.
٣٩. الصادقي تهراني، محمد، **البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن**، الطبعة الأولى، قم: انتشارات مؤلف، ٥١٤١٩ ق.
٤٠. الطباطبائي، سيد محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، الطبعة الخامسة، قم: انتشارات إسلامي جامعهي مدرسين حوزة علميه ٥١٤١٧ ق.
٤١. الطبرسي، فضل بن حسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، با مقدمه محمد جواد البلاغي، الطبعة الثالثة، تهران: انتشارات ناصر خسرو، ٥١٣٧٢ ش.
٤٢. الطوسي، محمد بن حسن **التبيان في تفسير القرآن**، مقدمة شيخ آغا بزرگ تهراني وتحقيق أحمد قصيرالعاملي، (د.ط) بيروت: دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ.
٤٣. العاملي، علي بن حسين، **الوجيز في تفسير القرآن العزيز**، الطبعة الأولى، قم: دار القرآن الكريم، ٥١٤١٣ ق.
٤٤. فراء، أبوزكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النحائي/ محمدعلي نجار/ عبدالفتاح إسماعيل شليبي، الطبعة الأولى، مصر: دارالمصرية للتأليف والترجمة، دون تاريخ.
٤٥. فيض الكاشاني، ملا محسن، **تفسير الصافي**، الطبعة الثانية، تهران: انتشارات الصدر، ٥١٤١٥ ق.

٤٦.، الأصفى في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، قم: انتشارات دفتر تليغات إسلامي، ٥١٤١٨ ق.
٤٧. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التاويل، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ٥١٤١٨ ق.
٤٨. القرطبي، محمد بن أحمد، ٥١٣٦٤ ش. الجامع لأحكام القرآن، انتشارات ناصر خسرو، تهران، ط ١.
٤٩. الكاشاني، محمد بن مرتضى، تفسير المعين، الطبعة الأولى، قم: انتشارات كتابخانه آية الله مرعشي نجفي، ٥١٤١٠ ق.
٥٠. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
٥١. المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهر، د. ط، باكستان: مكتبة رشديّة، ٥١٤١٢ ق.
٥٢. مغنية محمد جواد، تفسير الكاشف، الطبعة الأولى، تهران: دار الكتب الإسلامية، ١٤٢٤ هـ ق.
٥٣. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الأولى، قم: انتشارات مدرسة إمام علي بن أبي طالب، ٥١٤٢١ ق.
٥٤. ملاحويش آل غازي، عبدالقادر، بيان المعاني، الطبعة الثانية، دمشق: مطبعة الترقى، ٥١٣٨٢ ق.
٥٥. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، الطبعة الأولى، دمشق: دارالقلم، بيروت: دار الشافية، ٥١٤١٦ ق.
٥٦. النيشابوري، محمود بن ابوالحسن، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: دكتور حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٥١٤١٥ ق.
٥٧. النيشابوري، نظام الدين حسن بن محمد تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلميّة، ٥١٤١٨ ق.
٥٨. الهاشمي، سيّد أحمد، جواهر البلاغة، الطبعة الأولى، قم: مؤسّسة نشر العلوم الدينيّة، ٥١٣٧٠ ق.
- الكتب الفارسية:**
١. الحسيني شاه عبدالعظيمي حسين بن أحمد، تفسير اثنا عشري، الطبعة الأولى، تهران: انتشارات ميقات، ٥١٣٦٣ ش.
٢. الحسيني الهمداني، سيّد محمد حسين، أنوار درخشان، تحقيق: محمد باقر بهبودي، الطبعة الأولى، تهران: انتشارات كتابفروشي لطفی، ٥١٤٠٤ ق.
٣. گنابادی، سلطان محمد، بيان السعادة في مقامات العبادة، ترجمه: حاني، رضا. حشمت اله رياضي، الطبعة الأولى، تهران: مركز چاپ و انتشارات دانشگاه پیام نور، تهران، ٥١٣٧٢ ش.
٤. القرشي، سيّد علي أكبر، تفسير أحسن الحديث، الطبعة الثالثة، تهران: انتشارات بنياد بعثت، ٥١٣٧٧ ش.

٥. النجفي الخميني، محمد جواد، تفسير آسان، الطبعة الأولى، طهران: انتشارات إسلامية، ١٣٩٨ هـ.ق.

المقالات:

١- رضائي الإصفهاني، دكتور محمدعلي، زبان قرآن عرف عام يا عرف خاص، پژوهشنامه علوم و معارف قرآن كريم، شماره ٣، تابستان ٨٨.



پرويشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

بررسی معناشناختی - بلاغی در قرآن کریم (مطالعه موردی صنعت قلب)

محمدنی احمدی*

چکیده:

واضح است که اطلاع از نکات بلاغی و تبیین اسرار آن از مهم‌ترین موضوعات قرآنی است که دانشمندان بلاغت از ابتدای دوره‌ی اسلامی بدان همت گمارده و اقرار نموده‌اند که بلاغت اصل اساسی فهم معانی قرآنی و معنا شناختی فراوان آن است. این تحقیق نیز به معناشناختی قرآن کریم از طریق یکی از صنایع بلاغی که قلب نامیده می‌شود اهتمام ورزیده است. صنعت قلب مختصراً به این معنی است که یکی از اجزای کلام به خاطر نکته‌ای لطیف در جای جزء دیگری قرار گیرد که اگر آن نکته‌ی لطیف نباشد بلاغت به حساب نمی‌آید. به همین سبب است که در بلاغت به خوبی به شرح و تقسیم‌بندی آن پرداخته نشده است.

صنعت قلب دارای نقش ویژه‌ای در فهم بعضی از آیات قرآن و تفسیر آن‌ها می‌باشد؛ اما بعضی از مفسرین علی‌رغم تسلط به زبان عربی نتوانسته‌اند برخی از آیات این کتاب شریف را به درستی تفسیر نمایند. زیرا به "معانی عمیق و بیان دقیق و بدیع" زیبا کاملاً توجه نکرده‌اند و به "اسرار بلاغت" و "دلایل اعجاز" در کتاب خداوند بلند مرتبه نرسیده‌اند به گونه‌ای که نه به شکل "مختصر" و نه "مطول" به صنعت قلب پرداخته‌اند.

محقق در این تحقیق در صدد تبیین آنچه در کتاب‌های بلاغی درباره‌ی تعریف صنعت قلب آمده یا مشخص کردن آن در آیات قرآن یا توضیح انکار آن در بعضی از کتاب‌های بلاغی مانند "منهاج البلغاء" نیست بلکه با بضاعت اندک خود تلاش می‌کند تا آنچه در این کتاب‌ها به آن پرداخته نشده یعنی معناشناختی این صنعت و بلاغت آن در بعضی از آیات قرآن کریم بپردازد. این همان موضوع مهمی است که تا حدودی حکمت‌های زیبایی صنعت قلب را برای انسان روشن و به فهم او در تفسیر آیات کمک می‌کند.

کلیدواژه: قرآن کریم، معناشناختی، بلاغت، صنعت قلب، تفسیر.

* - استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه رازی، کرمانشاه. ایران. mm.ahmadi217@yahoo.com

تاریخ دریافت: ۱۳۹۳/۰۱/۱۷ ه.ش = ۲۰۱۴/۰۴/۰۶ م. تاریخ پذیرش: ۱۳۹۳/۰۴/۰۶ ه.ش = ۲۰۱۴/۰۶/۲۷ م.

Abstracts in English

Semantic and Rhetorical Aspects of Chiasmus in the Holy Quran

By: *Mohammad Nabi Ahmadi**

Abstract

Awareness about eloquent points and their hidden meanings is of much importance in Quranic science, so much so that the scholars from early Islamic periods paid attention to it. They believed that eloquence is the foundation for understanding the Quranic meanings. This research aims to investigate the semantic significance of a rhetorical device called chiasmus. Application of this technique results in the replacement of part of the word or language chunk with another verbal chunk. As studying this figure of speech has been very difficult and involved complications, scholars have not paid much heed to it. But chiasmus plays an important role in understanding many Quranic verses. Some commentators, in spite of their mastery of Arabic language, have not been able to provide the true meaning of the verses in the holy book. The reason is that they did not pay sufficient attention to the deep meanings expressed through rhetorical devices. They also have not grasped the eloquent mysteries and miraculous character of the Quran, for they did not consider chiasmus, neither briefly nor elaborately. This study does not want to deal with the definitions of this device which can be found in books on rhetoric (e.g., *Minhag al-Bulagha*) but attempts to show the semantic and rhetorical consequences of this figure of speech in some Quranic verses, something which has not been dealt with in books on rhetoric. This is what is needed very much in order to get to many rhetorical beauties in the Holy Quran.

Key word: The Quran, semantics, eloquence, rhetoric, chiasmus, interpretation.

* - Assistant Professor, Razi University, Iran.